جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵃⵎⴷ ⴱⵏ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰⵀ ⴱⴼⴰⵙ
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FES

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز
ⵜⴰⵖⵡⵍⴰⵜ ⵏ ⵜⵙⵏⴰⵡⵉⵏ ⴰ ⵜⴰⵎⴰⵙⵙⴰⵏⵜ - ⵎⵣⵡ ⵍⵎⵀⵔⴰⵣ
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Dhar El Mahraz

مطبوع بيداغوجي في وحدة:

الأصـــواتيـة

الفصل الثاني

مسلك الدراسات العربية

شعبة اللغة العربية وآدابها

الأستاذ المؤطر: د. محمد العلْوي

السنوات الجامعية: 2014 – 2020

محاور مقرر الوحدة:

1- علاقة الدراسة الصوتية بالصرف والنحو عند القدماء

2- مخارج الحروف العربية وصفاتها في التراث الصوتي العربي

3- الأصوا تية: تعريفها وفروعها

4- جهاز التصويت وأعضاء النطق

5- التصنيف الأصوا تي الحديث للأصوات العربية

6- طبيعة الأصوات وخصائصها النطقية

- المصوتات
- الصوامت
- أشباه المصوتات

7- نسق السمات المميزة في الصوا تة التوليدية المعيار

المحور الأول:

علاقة الدراسة الصوتية بالصرف والنحو عند القدماء

1- تعريف النحو:

النحو لغةً هو القصد والطريق والاتجاه والتحريف. وسُمّي النحوي نحويا لأنه يُحرّف الكلام إلى وجوه الإعراب. أما في الاصطلاح، فإن للنحو تعريفات بعضها يضيّق مجاله وبعضها يوسّعه. فالأولى تحصره في معرفة الحركات التي تتعاقب على أواخر الكلم بسبب تركيب بعضها مع بعض؛ ومنها تعريف الأستراباذي للنحو بأنه «معرفة الإعراب الحاصل في الكلام بسبب العقد والتركيب». وبهذا المعنى يكون "النحو" مرادفا لـ"علم الإعراب" ومقتصرا عليه.

أما التعريفات التي توسع مجال النحو، فإنها تضيف إلى اهتمامه بالإعراب اهتمامه بالصرف؛ ومنها تعريف ابن جني (392هـ) للنحو بأنه: «انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك». وبهذا المعنى يشمل النحو "علم الإعراب" بما هو معرفة أحوال أواخر الكلم المتنقلة بحسب التركيب و"علم الصرف" بما هو معرفة أحوال الكلم الثابتة التي ليست بإعراب.

2- لمحة عن تاريخ التأليف في الصرف:

نشأ علم الصرف وعلم الإعراب (النحو) بعدما شعر المسلمون بحاجتهم إليهما من أجل حفظ اللغة العربية، وخصوصا القرآن الكريم، من اللحن الذي بدأ يتفشى نتيجة لدخول شعوب غير عربية في الإسلام.

لم يكن الصرف منفصلا عن النحو في بداية التأليف حيث كانت مباحث الصرف متفرقة بين ثنايا كتب النحو أو مجتمعة في آخرها كما هو حال كتاب سيبويه (ت180هـ) الذي يعتبر أول كتاب يجمع كثيرا من أصول النحو والصرف وإن كان الصرف عنده لم يحظ بالعناية التي حظي بها النحو (علم الإعراب)، وكما هو حال كتب أخرى كثيرة ككتاب "المقتضب" للمبرد (ت285هـ) وكتاب "الأصول في النحو" لابن السراج (ت316هـ) وكتاب "الجُمَل" للزجاجي (ت339هـ) التي ضمت مباحث صرفية إلى جانب مباحث علم الإعراب. وكذلك كان الأمر في كتاب "المفصَّل في علم العربية" الذي جمع فيه الزمخشري (ت538هـ) أبواب الصرف والإعراب، وفي غيره من كتب النحو المشهورة.

ويعتبر أبو عثمان المازني (ت247هـ) أول من خص التصريف بكتاب مستقل كُتِب له البقاء، وقد سماه "التصريف" أو "كتاب التصريف". ويتضمن هذا الكتاب ما جاء عند سيبويه من موضوعات التصريف مع بعض الاجتهادات وإضافة بعض الشواهد والأمثلة.

وفي القرن الرابع، ألف ابن جني (ت392هـ) بعض أهم كتب التصريف. فبالإضافة إلى كتاب "الخصائص" الذي اشتمل على كثير من مسائل التصريف وأصوله، وإن لم يكن كتابا صرفيا خالصا، قام ابن جني بشرح كتاب المازني السالف الذكر في مؤلف يعرَف اختصارا بـ "المنصف" أو "المنصف في التصريف". كما عالج التصريف في كتاب خاص أيضا سماه "التصريف الملوكي" الذي يعتبر خطوة جديدة في تطور التصريف.

وفي القرن السابع ألف ابن الحاجب (ت646هـ) مؤلفه التصريفي المشهور "الشافية في التصريف والخط" الذي اعتُبِر أكمل كتاب في التصريف حتى منتصف القرن السابع الهجري. وقد جمع فيه ابن الحاجب ما تفرق من مسائل هذا العلم في الكتب الأخرى وأخضعها لترتيب كان هو أول من سَنّه، فكان هذا الكتاب -كما تقول خديجة الحديثي- من خيرة الكتب التي أُخرجت في الصرف من حيث الإحاطة والتبويب. وكثر اشتغال العلماء بعده بشرح "الشافية"، وأشهر هذه الشروح شرح رضي الدين الأستراباذي (ت686هـ) الموسوم بـ: "شرح شافية ابن الحاجب".

وفي القرن السابع أيضا، ألف ابن عصفور الإشبيلي (ت669هـ) أحد أشهر كتب الصرف المطولة واختار له اسم "الممتع في التصريف".

أما الكتب التي أُلفت بعد ذلك في علم الصرف فلم تخرج عن الحدود التي رسمها له سيبويه والمازني وابن جني وابن الحاجب وابن عصفور.

وهكذا نلاحظ أنه كان يتم الجمع أحيانا بين الصرف والإعراب (النحو) في الكتاب الواحد، وأحيانا أخرى كان التصريف يحظى بتأليف مستقل.

3- موقع الدراسة الصوتية من النحو والصرف:

درس علماء العربية القدماء الأصوات فتحدثوا عن الحروف الأصول والحروف الفروع المستحسنة وغير المستحسنة وعن مخارج الحروف العربية وصفاتها وعن الأحكام التي تنشأ لها بعد التركيب والتأليف من إبدال وإعلال وإدغام وتفخيم وترقيق وإمالة وفتح وغير ذلك. لكن دراسة الأصوات عندهم لم تُعرَف بما هي علم مستقل قائم بذاته كما هو حال النحو والبلاغة والعروض وغيرها من العلوم العربية القديمة. لذلك سنحاول في ما يلي تبيّن موقع دراسة

الأصوات عند النحاة باعتبار أن النحو عند القدماء يشمل مستويات متعددة من الدراسة اللغوية تم فصل بعضها عن بعض في الدرس اللساني الحديث.

ومن أجل معرفة علاقة الأصوات بالصرف ثم بالنحو وتحديد موقع دراسة الأصوات منهما، سننطلق من التعريفات الاصطلاحية للتصريف في كتب مختلفة ومراحل تاريخية مختلفة.

الصرف والتصريف كلمتان مستعملتان في لغة العرب قبل نشأة علم الصرف. وقد وردت أصول هاتين الكلمتين في المعاجم العربية بمعان مختلفة تفيد كلها التغيير والتحويل.

أما في الاصطلاح فنجد للتصريف تعريفات مختلفة بعضها أوضح وأدق من بعض. يقول سيبويه: «هذا ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل». وهذا تعريف ملغز لا يساعد على تبيّن حقيقة التصريف. ومعنى التصريف عند سيبويه من خلال هذا التعريف حسب الدكتورة خديجة الحديثي هو «أن تبني من الكلمة بناء لم تبنه العرب على وزن ما بنته ثم تعمل في البناء الذي بنيته ما يقتضيه قياس كلامهم». بل إن هذا التعريف ينطبق على مسائل هامشية من مسائل التصريف هي التي يسميها المتأخرون "مسائل التمرين"؛ وهي مسائل افتراضية يُمتحَن بها المتعلمون لمعرفة مدى استيعابهم لأصول التصريف وقواعده.

أما ابن جني (ت392هـ)، فقد عرّف التصريف بتعريفين مختلفين أحدهما في كتابه "التصريف الملوكي"، والثاني في كتابه "المنصف" ويوافق تعريف سيبويه. يقول في التعريف الأول: «معنى قولنا "التصريف" هو أن تأتي إلى الحروف الأصول فتتصرف فيها بزيادةٍ أو تحريفٍ بضربٍ من ضروب التغيير. فذلك هو التصريف لها والتصرف فيها». قال شارح "التصريف الملوكي" موفق الدين بن يعيش شارحا كلام ابن جني: «فالتصريف تغيير الحروف الأصول، ودورُها في الأبنية المختلفة بحسب تعاقب المعاني عليها. نحو قولك في الماضي: ضَرَبَ، وفي الحال: يَضْرِبُ، وفي الاستقبال: سَيَضْرِبُ، وضَارِبٌ للفاعل، ومَضْروبٌ للمفعول. فالأبنية مختلفة، والأصل الذي هو "ض ر ب" واحد، موجود في جميع ضروبها».

أما في التعريف الثاني الذي يوافق تعريف سيبويه فيقول: «أن تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى، مثال ذلك أن تأتي إلى "ضرب" فتبني منه مثل "جَعْفَرٍ" فتقول: "ضَرْبَب"، ومثل "قِمَطْرٍ": "ضِرَبْبٍ"، ومثل "دِرْهَم": "ضِرْبَب"، ومثل "عَلِم": "ضَرِب"، ومثل "ظَرُف": "ضَرُب"، أفلا ترى إلى تصريفك الكلمة على وجوه كثيرة».

وأما بعض المتأخرين من علماء التصريف، فقد دأبوا على تقسيم هذا العلم قسمين اثنين؛ يقول ابن عصفور الإشبيلي في تعريفه للتصريف: «والتصريف ينقسم قسمين: أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، نحو: ضَرَب وضَرَّب وتَضَرَّب وتَضَارَب واضْطَرَب، فالكلمة التي هي مركبة من ضاد وراء وباء نحو "ضَرْب" قد بُنِيت منها هذه الأبنية المختلفة لمعانٍ مختلفة ... والآخر من قسمي التصريف: تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالا على معنى طارىء على الكلمة نحو تغيير "قَوَل" إلى "قال" ... وهذا التغيير منحصر في النقص كـ "عِدة" ونحوه، والقلب كـ "قال" و"باع" ونحوهما، والإبدال كـ "اتَّعد" و"اتَّزن" ونحوهما، والنقل ...».

ويجمع ابن مالك (ت672هـ) هذين القسمين في تعريف مختصرٍ يقول فيه: «التصريف تحويل الكلمة من بنية إلى غيرها لغرض لفظي أو معنوي». ثم بيّن أن «من التصريف ضروري كصوغ الأفعال من مصادرها والإتيان بالمصادر على وفق أفعالها وبناء (فَعَّال) و(فَعُول) من (فاعل) قصدا للمبالغة، وغير ضروري كبناء مثال من مثال كقولنا (ضَرْبَبَ) وهو مثال (دَحْرَجَ) من (ضَرَبَ)».

وقال علي بن محمد الأشموني (ت900هـ) في تعريف التصريف: «اعلم أن التصريف في اللغة التغيير، ومنه "تصريف الرياح" أي تغييرها. وأما في الاصطلاح فيطلق على شيئين؛ الأول: تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني كالتصغير والتكسير واسم الفاعل واسم المفعول ... والآخر: تغيير الكلمة لغير معنى طارىء عليها، ولكن لغرض آخر، وينحصر في الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والإدغام».

واضح من خلال تعريف بعض المتأخرين، وخصوصا تعريف ابن عصفور والأشموني، أن التصريف يدرس نوعين من التغيير يلحقان الكلمة؛ الأول تغيير في اللفظ يترتب عنه تغيير معنى الكلمة مثل تغيير "ضرب" إلى ضرّب وتضارب وتضرّب واضطرب وضارِب ومضروب...إلخ، فكل واحدة من هذه الكلمات المشتقة من "ضرب" تدل على معنى لا يوجد في "ضَرَب". والنوع الثاني من التغيير تغيير في اللفظ لا يترتب عنه تغيير في المعنى مثل تغيير "قوَل" إلى "قال" أو "مدَدَ" إلى "مدَّ"، فالتغيير الذي لحق "قوَل" و"مدَدَ" لم يؤد إلى أي تغيير في معنييهما. وقد ذكر ابن عصفور في النص السالف الذكر أن هذا النوع من التغيير (النوع الثاني) منحصر في النقص والقلب والنقل والإبدال والإدغام وغيرها من الظواهر التي نسميها الآن الظواهر الصوتية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن دراسة الأصوات العربية وما يرتبط بها من ظواهر تمّ عند النحاة وعلماء الصرف في إطار القسم الثاني من قسمي التصريف المذكورين في تعريف بعض المتأخرين من علماء التصريف لهذا العلم. وهكذا، فإذا كان القسم الأول خاصا بالظواهر الاشتقاقية من قبيل التثنية والجمع والنسبة والتصغير واشتقاق اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعل التفضيل وصيغ المبالغة وغيرها، فإن القسم الثاني خاص بالظواهر التي يمكن أن ننعتها بالصوتية من قبيل الإبدال والإعلال والإدغام والإمالة وتخفيف الهمز والتفخيم والترقيق وغيرها.

بناء على ما سبق، يمكننا أن نؤكد أنّ موقع دراسة الأصوات عند النحاة وعلماء الصرف هو القسم الثاني من قسمي التصريف المتعلق بالتغيير الذي يلحق لفظ الكلمة دون معناها. والتصريف بدوره هو القسم الثاني من قسمي النحو بمعناه الواسع.

المحور الثاني:

مخارج الحروف العربية وصفاتها في التراث الصوتي العربي

1- الحروف الأصول والحروف الفروع:

تنقسم الحروف العربية إلى أصول وفروع. فقد ذكر سيبويه أن الحروف الأصول تسعة وعشرون حرفا وأوردها مرتبة بحسب تدرّج مخارجها من الحلق إلى الشفتين (ء، ا، هـ، ع، ح، غ، خ، ق، ك، ض، ج، ش، ي، ل، ر، ن، ط، د، ت، ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م، و). وتصير خمسة وثلاثين حرفا بإضافة ستة حروف فروع، وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة في لغة من تُرتضى عربيته ومستحسنة في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة (الخفية)، الهمزة التي بين بين، الألف الممالة، الشين التي كالجيم، الصاد التي كالزاي، وألف التفخيم. ثم تصير اثنين وأربعين بإضافة سبعة حروف فروع أخرى ليست كثيرة في لغة من ترتضى عربيته وغير مستحسنة في قراءة القرآن والأشعار.

2- مخارج الحروف العربية:

المخرج في اللغة هو موضع الخروج، أما في الاصطلاح فهو الموضع الذي ينشأ منه الحرف. ويستخدم علماء العربية مصطلحات أخرى مرادفة لـ "المخرج" مثل "الموضع"، "المَدْرَجة"، و"الحيِّز"، غير أن "الحيز" قد يُستعمل بمعنى أعم.

وقد اختلف علماء العربية – وكذلك علماء القراءات والتجويد – حول عدد المخارج. فقد اعتبر سيبويه ومن ذهب مذهبه أن عدد المخارج ستة عشر، في حين رأى بعض النحاة وجمهور علماء القراءات أنها سبعة عشر حيث أضافوا إلى المخارج التي ذكرها سيبويه مخرجا آخر هو الجوف وجعلوه لحروف المد. ويلخص ابن الجزري هذا الخلاف في عدد المخارج بقوله: «فقد اختلفوا في عددها، فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمنا من المحققين كالخليل بن أحمد ومكي بن أبي طالب وأبي القاسم الهذلي وأبي الحسن شريح وغيرهم سبعة عشر مخرجا، وهذا الذي يظهر من حيث الاختبار وهو الذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها. وقال كثير من النحاة والقراء هي ستة عشر فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المد واللين. وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق والواو من مخرج المتحركة وكذلك الياء. وذهب قُطْرُب والفراء وابن دُريد وابن كيسان إلى أنها أربعة عشر فأسقطوا مخرج النون واللام والراء وجعلوها من مخرج واحد وهو طرف اللسان».

ويعتبر تحديد سيبويه لمخارج الحروف العربية أقدم تحديد دقيق لهذه المخارج، وظل على مَرِّ العصور المرجع المعتمد عند علماء العربية وعلماء القراءات. وقد حددها على النحو الآتي:

المخرج الأول: أقصى الحلق: مخرج الهمزة والهاء والألف.

المخرج الثاني: أوسط الحلق: مخرج العين والحاء.

المخرج الثالث: أدنى الحلق من الفم: مخرج الغين والخاء.

المخرج الرابع: أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى: مخرج القاف.

المخرج الخامس: أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى: مخرج الكاف.

المخرج السادس: وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى: مخرج الجيم والشين والياء.

المخرج السابع: بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس: مخرج الضاد.

المخرج الثامن: حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مِمّا فوق الضاحك والناب والرباعية والثنية: مخرج اللام.

المخرج التاسع: طرف اللسان بينه وبين ما فُويق الثنايا: مخرج النون.

المخرج العاشر: مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام: مخرج الراء.

المخرج الحادي عشر: ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا (العليا): مخرج الطاء والدال والتاء.

المخرج الثاني عشر: ما بين طرف اللسان وفُويق الثنايا: مخرج الزاي والسين والصاد.

المخرج الثالث عشر: ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا: مخرج الظاء والذال والثاء.

المخرج الرابع عشر: باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى: مخرج الفاء.

المخرج الخامس عشر: ما بين الشفتين: مخرج الباء والميم والواو.

المخرج السادس عشر: الخياشيم: مخرج النون الخفيفة (الخفية).

3- صفات الحروف العربية:

الصفة في اللغة ما قام بالشيء من المعاني كالعلم والسواد. أما في الاصطلاح فهي كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج. وتتجلى أهمية الصفات وفائدتها في كونها تميّز بين الحروف التي تشترك في نفس المخرج. فالطاء والدال والتاء مثلا من نفس المخرج، ولا تتميز الطاء عن الدال إلا بالإطباق، كما أن الدال لا تتميز عن التاء إلا بالجهر، ولولاه لكانت الدال تاءً.

ولم يذكر سيبويه في كتابه إلا إحدى عشرة صفة، ثلاث منها لها مقابلات (الجهر/ الهمس، الشدة/ الرخاوة، الإطباق/ الانفتاح)، والصفات الأخرى خاصة بحرف واحد أو ببعض الحروف وليس لها مقابلات، ومنها التكرير والانحراف والصفير والاستطالة والتفشي والهوي واللين. وفي ما يلي تعريف بأهم الصفات الواردة عند سيبويه وعند غيره من علماء العربية:

- **الجهر/ الهمس:** تنقسم الحروف العربية إلى قسمين: قسم مجهور وآخر مهموس. والحرف المجهور كما يعرفه سيبويه هو «حرف أُشْبِع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوتُ».

وأما المهموس «فحرف أُضعِف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفسُ معه». والحروف المهموسة عند علماء العربية عشرة (هـ، ح، خ، ك، ش، ت، س، ص، ث، ف)، وهي التي يجمعها قولهم (سكت فحثه شخص). وما عدا هذه العشرة فهو مجهور. ولم يحاول علماء العربية شرح التعريف المشكِل للجهر والهمس الذي قدمه سيبويه، وإنما اكتفوا بترديد عباراته بلفظها.

ويُلاحَظ أن سيبويه عدّ الهمزة والقاف والطاء حروفا مجهورة، لكنها كما تنطق اليوم حروف مهموسة.

- **الشدة / الرخاوة:** قال ابن جني: «وللحروف انقسام آخر إلى الشدة والرخاوة وما بينهما. فالشديدة ثمانية أحرف، وهي: الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والدال، والتاء، والباء، ويجمعهما في اللفظ (أَجَدْتَ طَبَقَك) و(أجدك طَبَقت). والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضا، وهي الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو، ويجمعها في اللفظ (لمْ يَرْوِ عَنّا)، وإن شئت قلت: (لم يُرَوِّعْنَا)، وإن شئت قلت: (لَمْ يَرْعَوْنَا). وما سوى هذه الحروف والتي قبلها هي الرخوة».

وكان سيبويه قد عرّف الحرف الشديد بأنه «الذي يُمنع الصوتُ أن يجري فيه». وقال الأستراباذي: «ونعني بالشديدة ما إذا أسكنته ونطقت به لم يجرِ الصوت». كما بيَّن الفرق بين الحروف الشديدة والمجهورة بقوله: «والفرق بين الشديدة والمجهورة أن الشديدة لا يجري الصوت عند النطق بها، بل إنك تسمع به في آن ثم ينقطع، والمجهورة لا اعتبار فيها بعدم جري الصوت، بل الاعتبار فيها بعدم جري النفس عند التصويت بها».

أما الحروف الرخوة فهي التي يجري الصوتُ عند النطق بها، وهي: الهاء، الحاء، الغين، الخاء، الشين، الصاد، الزاي، السين، الظاء، الثاء، الذال، والفاء.

وإذا كان علماء العربية لم يختلفوا في تحديد الحروف الشديدة والحروف الرخوة، فإنهم اختلفوا في تحديد الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة والتي تسمى أيضا الحروف البينية. فهي عند المبرد خمسة: العين والنون وحروف المد واللين الثلاثة. وهي خمسة كذلك عند ابن الجزري وغيره لكن مع اختلاف في تحديدها، فهي عندهم: العين، اللام، النون، الراء، والميم (لِنْ عُمَر). وأضاف بعضهم إليها الياء والواو فجعلها سبعة أحرف. وجعلها ابن يعيش والأستراباذي - مثل ابن جني- ثمانية أحرف حيث أضافا إلى السبعة الألف.

- **الإطباق والانفتاح:** قال سيبويه: «ومنها المطبقة والمنفتحة. فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء. والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف، لأنك لا تُطْبِقُ لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى. وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف. وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن. فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان. وقد بُيِّنَ بحصر الصوت. ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها». ومعنى قول سيبويه (فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان) هو أن اللسان يرتفع من جهة طرفه باتجاه مقدمة الحنك الأعلى لأن حروف الإطباق من طرف اللسان، ويرتفع اللسان أيضا من جهة أقصاه إلى ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وينطبق اللسان إلى الحنك الأعلى من الجهتين فيُحصَر الصوت بين الحنك واللسان الذي يأخذ حينئذ شكلا مقعّرا.

- **الاستعلاء / الاستفال (أو الانخفاض):** لم يتحدث سيبويه عن صفة الاستعلاء في إطار حديثه عن الصفات، لكنه ذكرها في موضع آخر خاص بتفخيم الراء وترقيقها (هذا باب الراء) دون تقديم تعريف لهذه الصفة أو ما يقابلها. واستدرك المبرد هذا الأمر فقال عن حروف الاستعلاء: «والحروف المستعلية: الصاد والضاد والطاء والظاء والخاء والغين والقاف. وإنما قيل مستعلية لأنها حروف استعلت إلى الحنك الأعلى، وهي الحروف التي تَمنع الإمالة».

وقال ابن جني: «وللحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء والانخفاض. فالمستعلية سبعة، وهي: الخاء، والغين، والقاف، والضاد، والطاء، والصاد، والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض. ومعنى الاستعلاء: أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وقد ذكرناها، وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها».

وارتفاع اللسان الذي من أجله استحقت الحروف السبعة لقب المستعلية يُقصد به على وجه الخصوص ارتفاع أقصى اللسان، إذ لا عبرة بارتفاع طرفه أو وسطه دون أقصاه، ولذلك لمْ تُسمَّ الدال أو التاء ولا الجيم أو الشين حروفا مستعلية رغم ارتفاع طرف اللسان باتجاه أصول الثنايا مع الدال والتاء ورغم ارتفاع وسطه باتجاه وسط الحنك الأعلى مع الجيم والشين.

وقد تُسَمَّى حروف الاستعلاء أيضا حروف التفخيم.

- **اللين:** هذه صفة للواو والياء الساكنتيْن المفتوح ما قبلهما كما في نحو"قَوْم" و"بَيْع". وقد وُصفا باللين كما يقول سيبويه «لأن مُخرجهما يتسع لهواء الصوت أشدّ من اتساع غيرهما».

- **الهُوِي:** هذه صفة للألف. ويُعرِّف سيبويه الحرف الهاوي بقوله: «وهو حرف اتسع لهواء الصوت مُخرجُه أشدَّ من اتساع مُخرجِ الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قِبَلَ الحنَك».

- **الطول (أو الاستطالة):** وهذه الصفة ينفرد بها الضاد. قال الأستراباذي: «ويقال للضاد: طويل؛ لأنه من أقصى الحافة إلى أدنى الحافة: أي إلى أول مخرج اللام، فاستغرق أكثر الحافة».

- **القلقلة:** حروف القلقلة خمسة، وهي: القاف، الجيم، الطاء، الدال، والباء. ويجمعها في اللفظ قولهم (قطب جد). قال ابن الحاجب: «وحروف القلقلة ما ينضمّ إلى الشدة فيها ضغطٌ في الوقف». وقال الأستراباذي في شرحه: «إنما سُميت حروف القلقلة لأنها يصحبها ضغطُ اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر، وهذا الضغط التام يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا أردتَ بيانها للمخاطب احْتَجْتَ إلى قلقلة اللسان وتحريكه عن موضعه حتى يخرج صوتها فيُسمَع».

- **الانحراف:** وهذه صفة خالصة للاّم عند علماء العربية. ووُصِف اللام بالانحراف لأن الصوت لا يخرج من موضعه، وهو طرف اللسان، وإنما من ناحيتيْه، أي جانبيْه. قال سيبويه: «وليس يخرج الصوتُ من موضع اللام، ولكن من ناحيتَيْ مستدق اللسان فُوَيْقَ ذلك».

- **التكرير:** التكرير صفة تميز الراء عن سائر الحروف. وسُمي هذا الحرف مكررا «لأن طرف اللسان إذا تكلم به كأنه يتعثر: أي يقوم فيعثر؛ للتكرير الذي فيه».

- **الصفير:** وهذه الصفة تُميّز الصاد والزاي والسين. قال ابن الحاجب: «وحروف الصفير ما يُصفر بها». ويحدث الصفير المصاحب لهذه الحروف من جراء دفع الهواء بقوة في المنفذ الضيّق بين طرف اللسان وما فُويق الثنايا.

المحور الثالث:

الأصواتية: تعريفها وفروعها

1- تعريف الأصواتية:

الأصواتية (أو علم الأصوات) la phonétique هي دراسة أصوات اللغة. وهي فرع من اللسانيات، لكنها وبخلاف الفروع الأخرى لا تهتم إلا باللغة المنطوقة وليس بأشكال التواصل المنظمة الأخرى (اللغة المكتوبة، إشارات الصم البكم، إشارات البحارة،..الخ). إنها تهتم بالتعبير اللساني وليس بالمضمون، بالصورة السمعية وليس بالصورة الذهنية.

إن أي اتصال لساني بين الناس يفترض وجود نظام مكون من عدد محدود من العناصر يختلف بعضها عن بعض بخصائص محددة، والاختلافات الثابتة بين الوحدات شرط ضروري لكي يتمكن مثل هذا النظام من الاشتغال كوسيلة للتواصل.

إن الوحدات المستعملة كدلائل في اللغة المنطوقة، وهي أصوات وتأليفات أصوات، ينبغي أن تُجعل مختلفة بحيث يمكن للأذن البشرية أن تحدد الاختلافات وتؤولها دون أن تخدع، وبحيث يمكن لجهازنا المصوت أن ينتجها بشكل قابل للتعرف. ولكي يتكلم الإنسان، فإنه يحتاج أن يتعلم مقابلة بعض الأصوات ببعض الأصوات الأخرى.

إن كل فعل كلامي يفترض وجود شخصين على الأقل: ذلك الذي يتكلم، وذاك الذي يسمع. الأول يُحدِث أصواتا، والثاني يسمعها ويؤولها. وهكذا فلأصواتية مظهران:

أ) مظهر سمعي (أكوستيكي) يدرس البنية الفيزيائية للأصوات المستعملة والطريقة التي يتم بها رد فعل الأذن تجاه هذه الأصوات .

ب) مظهر نطقي أو فيزيولوجي يهتم بجهازنا المصوت وبالطريقة التي نحدث بها أصوات اللغة.

إن إحداث الأصوات وكذلك تأويلها يستلزمان تدخل نشاط نفسي، فبدون الذكاء لا يمكن لأي لغة جديرة بهذا الاسم أن تكون. وبهذا فعلى الأصواتية أيضا أن تهتم بالسيرورات النفسية الضرورية للتمكن من نظام أصواتي ومن لغة منظمة. وما يجعل من الأصواتية علما مستقلا رغم هذا الاختلاف في زوايا النظر التي يمكن تناولها منها هو طابعها اللساني بالكامل. أما الظواهر السمعية، مثل الأصوات الموسيقية والأصوات في الطبيعة ونحو ذلك، وكذلك

السيرورات الفيزيولوجية المجردة من الوظيفة اللسانية (التثاؤب، الشخير، المضغ، التنفس ...) فلا تشكل جزءا من مجالها.

2- فروع الأصواتية:

يمكن التمييز بين أربعة فروع من الأصواتية على الأقل، وهي:

- **الأصواتية العامة La phonétique générale:**

وهي تدرس الإمكانيات السمعية للإنسان واشتغال جهازه المصوت.

- **الأصواتية الوصفية La phonétique Descriptive:**

وهي تدرس الخصوصيات الأصواتية للسان معين أو لهجة.

- **الأصواتية التطورية: La phonétique évolutive (أو التاريخية historique):**

وهي تدرس التغيرات الأصواتية التي يخضع لها لسان معين على امتداد تاريخه. ويمكن للأصواتية التطورية أن يكون لها أيضا مظهر عام من خلال دراسة العوامل العامة المحددة للتطور الأصواتي.

- **الأصواتية المعيارية La phonétique normative:**

وهي تدرس مجموع القواعد التي تحدد النطق الجيد للسان معين. وهي تستلزم وجود معيار للتلفظ صالح داخل جماعة لسانية أو دولة أو إقليم أو وحدة ثقافية أو دينية أو فئة مجتمعية.

المحور الرابع:

جهاز التصويت وأعضاء النطق

يتضمن جهاز التصويت الإنساني ثلاثة أقسام:

1- **الجهاز التنفسي** l'appareil respiratoire :

وهو الذي يوفر تيار الهواء الضروري لإحداث جل الأصوات اللغوية.

ويتكون فعل التنفس من مرحلتين: الشهيق l'inspiration والزفير L'expiration. فأثناء عملية الشهيق، يدخل الهواء إلى الرئتين إما عبر الخياشيم les fosses nasales وإما عبر الفم حيث يمر عبر الحنجرة وقصبة الرئة La trachée artère. وأثناء عملية الزفير يتم دفع قسط كبير من الهواء الموجود في الرئتين. وهذا الهواء المدفوع بواسطة الزفير هو الذي يستعمل للتصويت la phonation.

2- **الحنجرة Le larynx** :

وهي التي تخلق الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام. وهي بمثابة علبة تحد القسم الأعلى من قصبة الرئة. وفي أعلى الحنجرة يوجد لسان صغير يسمى لسان المزمار épiglottis. وينحصر دوره في حماية الحنجرة ومجرى الهواء من تسرب الطعام والماء إليهما. وداخل الحنجرة، يمتد الوتران الصوتيان les cordes vocales بشكل أفقي من الخلف إلى الأمام ويلتقيان عند ما يسمى تفاحة آدم. ويسمى الفراغ بين الوترين: المزمار. ووضع هذين الوترين هو المسؤول عن الجهر والهمس.

3- **التجاويف فوق المزمارية** les cavités supra-glottiques :

وهي التي تلعب دور المِرنانات résonateurs، وفيها تَحدُث جل الأصوات المستعملة في الكلام. وهذه التجاويف هي الحلق Le pharynx وتجويف الفم والخياشيم، ودورها الأساسي في الكلام هو اشتغالها كمرنانات.

أما الحلق، فهو الجزء الواقع بين الحنجرة والفم. وأما الفم، فهو أكبر التجاويف. وهو يضم أكثر الأعضاء النطقية، وبالتالي فهو المسؤول عن إنتاج أغلب الأصوات اللغوية.

ويتشكل سقف الفم من الحنك le palais الذي ينقسم قسمين: الحنك الصلب dur في الأمام والحنك الرخو mou (أو غشاء الحنك voile du palais) في الخلف. والحنك الرخو

متحرك، وهو يفتح أو يسد مدخل الخياشيم. وهكذا فإن تمفصل غشاء الحنك هو الذي يحدد إذا ما كان صوت ما أنفيا (مرور الهواء من الأنف) أو فمويا (مرور الهواء من الفم فقط). وينتهي غشاء الحنك باللهاة la luette. أما شكل الخياشيم وحجمها فإنهما ثابتان.

وتوجد في الفم أيضا الأسنان les dents مع اللثة les alvéoles. ثم هناك اللسان والشفتان. ودور اللسان وأهميته كبيران في إحداث الأصوات اللغوية إلى درجة أن كلمة "لسان" تستعمل غالبا في اللاتينية والفرنسية والإنجليزية وكذلك في العربية وغيرها للإشارة إلى اللغات (اللسان العربي ... الخ). إنه العضو الأكثر أهمية من بين أعضاء الكلام الموجودة فوق المزمار. وتمكّن حركات اللسان المختلفة من الحصول على كل التأثيرات المرنانية التي نستعملها لتحقيق أجراس صوتية مختلفة ولإحداث سلسلة من الأصوات المختلفة. ويمكن لحجم تجويف الفم وشكله أن يتغيرا تقريبا إلى ما لا نهاية بفضل حركات اللسان الذي يملأ جزءا كبيرا منه.

ويُقسم اللسان إلى ثلاثة أقسام على الأقل هي طرف اللسان la pointe de la langue و وسطه ثم ظهره le dos de langue.

المحور الخامس:

التصنيف الأصواتي الحديث للأصوات العربية

يتألف النظام الصوتي للعربية المعيار المعاصرة من الأصوات التالية:

- **الشفويات:**
  - **ب** : صامت انفجاري مجهور .
  - **م** : صامت مجهور أنفي.
  - **و** : شبه مصوت احتكاكي مجهور مستدير.
- **الشفوي- الأسناني:**
  - **ف** : صامت احتكاكي مهموس.
- **بين الأسنانيات:**
  - **ظ** : صامت احتكاكي مجهور مطبق.
  - **ذ** : صامت احتكاكي مجهور غير مطبق.
  - **ث** : صامت احتكاكي مهموس غير مطبق.
- **الأسنانيات:**
  - **ط** : صامت انفجاري مهموس مطبق.
  - **د** : صامت انفجاري مجهور غير مطبق.
  - **ت** : صامت انفجاري مهموس غير مطبق.
- **اللثويات:**
  - **ص**: صامت احتكاكي مهموس مطبق.
  - **ز** : صامت احتكاكي مجهور غير مطبق.
  - **س** : صامت احتكاكي مهموس غير مطبق.
- **الأدنى حنكيات:**
  - **ن** : صامت أنفي مجهور.
  - **ر** : صامت سائل ارتجاجي مجهور.
  - **ل** : صامت سائل جانبي مجهور.
  - **ض**: صامت انفجاري مجهور مطبق.

- **الوسط حنكيات:**

ج : صامت انفجاري مجهور.

ش : صامت احتكاكي مهموس.

ي : شبه مصوت احتكاكي مجهور.

- **الغشائيـان:**

ق : صامت انفجاري مهموس شبه مطبق.

ك : صامت انفجاري مهموس غير مطبق.

- **اللهويـان:**

غ : صامت احتكاكي مجهور شبه مطبق.

خ : صامت احتكاكي مهموس شبه مطبق.

- **الحلقيـان:**

ع : صامت انفجاري مجهور.

ح : صامت احتكاكي مهموس.

- **الحنجريـان:**

ء : صامت انفجاري مهموس.

هـ : صامت احتكاكي مهموس.

المحور السادس:

طبيعة الأصوات وخصائصها النطقية

1- المصوتات: Les voyelles

تتميز المصوتات نطقيا بمرور حرّ للهواء الصاعد من الرئتين، وأكوستيا بغياب أي احتكاك مسموع. وهاتان الخاصيتان نتيجة طبيعية لعدم اعتراض الهواء بأي حاجز ولعدم تضييق الجهاز المصوت عند تحقيق هذا النوع من الأصوات.

ويتكون النسق الصوتي العربي من ستّة مصوتات أساسية ثلاثة منها قصيرة وثلاثة طويلة من جنسها. وهي الفتحة والكسرة والضمة وكذلك الألف والياء والواو المدية.

بالنسبة للفتحة يبقى اللسان منبسطا تقريبا في الفم، وذلك في وضع قريب جدا من وضع الراحة. ولأن اللسان لا يرتفع مع الفتحة فإنها تعتبر مصوتا مفتوحا ouvert.

أما بالنسبة للكسرة، فإن اللسان يرتفع مع التقدم أكثر فأكثر نحو الحنك الصلب مع تقلص لحجم الفم وارتفاع لحجم الحلق. ولذلك يمكن اعتبار الكسرة مصوتا حنكيا palatale أو متقدما antérieure .

ولأن اللسان يرتفع عند نطق الكسرة إلى مستوى أعلى من وضعه في حالة الراحة فإن هذا المصوت يعتبر مغلقا fermée .

ويكون وضع الشفتين محايدا مع الفتحة والكسرة علما بأنهما تكونان منفرجتين متباعدتين مع الفتحة ومنفرجتين متقاربتين مع الكسرة.

وأما بالنسبة للضمة، فإن الشفتين ترتسمان وتستديران، وبذلك يضاف مرنان ثان (الشفتان). كما يُمدَّد التجويف الفموي في نفس الوقت الذي يُقلَّص فيه انفتاحه. ويتميز نطق الضمة أيضا بتراجع ظهر اللسان نحو غشاء الحنك. ولذلك يمكن اعتبار هذا المصوت مصوتا غشائيا vélaire أو خلفيا postérieure. ولأن اللسان يرتفع مع الضمة إلى مستوى أعلى من ذلك الذي يكون عليه في وضع الراحة فإنه يُعتبر أيضا مصوتا مغلقا، بل إنه المصوت الأكثر انغلاقا.

وما ينطبق على المصوتات القصيرة المذكورة من خصائص ينطبق أيضا على نظائرها الطويلة. وينحصر الفرق بينهما في الطول والقصر، أي أن نطق المصوت الطويل يستغرق ضعف المدة التي يستغرقها نطق المصوت القصير.

وإذا كانت الكسرة والياء المدية متقدمتين والضمة والواو المدية خلفيتين، فإن الفتحة والألف ليستا في الأصل متقدمتين ولا خلفيتين. لكنهما إذا نُحي بهما نحو الكسرة والياء (الإمالة) تكونان متقدمتين، وإذا نُحي بهما نحو الضمة والواو (التفخيم) تكونان خلفيتين.

وانطلاقا من هذه المعطيات النطقية يمكن تخصيص كل المصوتات العربية بتعيين موضعها في الفم ودرجة الانغلاق ثم وضع الشفتين، بالإضافة إلى الطول والقصر.

- الفتحة مصوت مفتوح غير مستدير قصير.
- الألف مصوت مفتوح غير مستدير طويل.
- الكسرة مصوت متقدم مغلق غير مستدير قصير.
- الياء المدية مصوت متقدم مغلق غير مستدير طويل.
- الضمة مصوت خلفي مغلق مستدير قصير.
- الواو المدية مصوت خلفي مغلق مستدير طويل.

2- الصوامت : les consonnes

بينما تتميز المصوتات أكوستيا بغياب احتكاك مسموع ومن زاوية نظر نطقية بمرور حر للهواء، تتضمن الصوامت احتكاكات وتُنطق بإغلاق لمجرى الهواء أو تضييقه. ويمكن التمييز بين صوامت لحظية momentanées تستلزم سدا تاما متبوعا بفتح مفاجئ (انفجار)، وهي التي تسمى الانفجاريات أو الانسداديات أو الوقفيات، وبين صوامت مستمرة continues تتميز بنوع من التضييق لمجرى الهواء ويمكن بالتالي أن تُمَدَّد بقدر ما يسمح بذلك الهواء الرئوي، وهي التي تسمى الاحتكاكيات. ثم هناك أنواع أخرى من الصوامت تشكل فصائل طبيعية من الأصوات كالأنفيات والجانبيات والارتجاجيات.

- **الانسداديات: les occlusives**

تسمى اللحظيات في الأصواتية انسداديات occlusives لأن المرحلة الأهم في تكوينها هي السد اللحظي لمجرى الهواء، وهذا السد قد يتم بواسطة الشفتين (السد الشفتاني)، أو بواسطة طرف اللسان مع الأسنان أو اللثة (السد الطرفي-الأسناني)، أو بواسطة ظهر اللسان مع الحنك الصلب (السد الظهري-الحنكي) أو مع الحنك الرخو (السد الظهري الغشائي) ....إلخ.

ويمكن لكل نطق صامتي أن يكون مصاحبا باهتزازات حنجرية أو أن يحدث بدون مشاركة الوترين الصوتيين، وهكذا فالانسدادي يكون مجهورا أو مهموسا.

إن كل صامت يتحدد تبعا لنمط نطقه وتبعا لموضع نطقه. فالدال مثلا انسدادي مجهور بالنظر إلى نمط نطقه، وطرفي أسناني تبعا لموضع نطقه.

• **الاحتكاكيات: les fricatives**

الصوامت الاحتكاكية أصوات تحقَّق على نحو لا يحدث معه سدّ تام لمجرى الهواء، وبحيث يؤدي تضييق الجهاز المصوت أو اعتراض الهواء جزئيا بأحد الأعضاء النطقية إلى إحداث احتكاك مسموع. وتتفاوت درجة احتكاكية الصوامت الاحتكاكية بحسب درجة التضييق أو الاعتراض.

وأكثر الصوامت احتكاكية في النسق الصوتي العربي هي الشين والحروف الصفيرية (الصاد والزاي والسين).

• **المزجيات: les affriquées**

يوجد نوع من الصوامت يمكن اعتباره تأليفا بين النوع الانسدادي والنوع الاحتكاكي. ومثال ذلك الصامت الأول (tch) في كلمة " child" الإنجليزية أو"mucho" الإسبانية. فهذا الصامت المركب يسمى مزجيا لأنه يمزج نطقين أحدهما انسدادي (t) والآخر احتكاكي (ch).

• **الأنفيات: les nasales**

بما أن الانسداديات تستلزم بالتعريف إغلاقا تاما لمجرى الهواء، فإنه يترتب عن ذلك أن يغلق غشاء الحنك، خلال الانسداد، مدخل الخياشيم؛ فالانسداديات فموية بالضرورة. أما إذا تم جمع إغلاق القناة الفموية مع وضعية متدلية لغشاء الحنك ومرور حر للهواء عبر الأنف، فإنه يحصل نوع آخر من الصوامت تسمى الصوامت الأنفية. وهكذا فالصامت الأنفي انسدادي بالنظر إلى النطق الفموي، لكنه فونيم مفتوح (مرور حر للهواء) إذا اعتبرنا تجويف الأنف.

والصامتان الأنفيان في العربية هما **الميم والنون**، وهما موجودان في كل اللغات تقريبا.

• **الجانبيات: Les latérales**

تشترك الصوامت المسماة جانبية مع الانسدادية والأنفيات في أن العضو الناطق (اللسان) يدخل في تماس مع موضع النطق (الأسنان أو الحنك). لكن وبخلاف ما يحدث في المجموعات السابقة، فإن هذا التماس لا يحدث إلا وسط القناة الفموية، في حين أن الهواء يمكنه الخروج من جانبي موضع النطق. وفي بعض الأحيان فإن هذا المرور الجانبي لا يحدث إلا في جانب واحد (صامتي أحادي الجانب unilatérale) بدون أن يترتب عن ذلك فرق أكوستي قابل للإدراك. والصامت الجانبي في العربية هو **اللام**.

- **الارتجاجيات: les vibrantes**

تنطق الصوامت المسماة ارتجاجية بشكل يجعل العضو الناطق، وهو إما طرف اللسان أو اللهاة، يحدث سلسلة متقطعة من الانسدادات القصيرة جدا. والارتجاجي الطرفي يمثله في العربية صوت **الراء** الذي يُنطق بشكل يجعل طرف اللسان مدفوعا إلى الأمام بتيار الهواء، ويرجع اللسان بفضل مرونته إلى وضعه الأول، وتتكرر الحركة نفسها عدة مرات متتابعة. أما الارتجاجي اللهوي، فيمثله في العربية صوت **الغين**.

ويشكل الارتجاجي الطرفي والارتجاجي الغشائي في اللغات الأوربية، في الغالب، متغيرين variantes اثنين لنفس الفونيم؛ إذ لا يمكن في الفرنسية ولا في الإنجليزية أو الألمانية تغيير معنى كلمة باستبدال أحد الارتجاجيين بالآخر. لكن توجد لغات يكون فيها الارتجاجيان فونيمين مختلفين حيث يتغير معنى الكلمة إذا استُبدل أحدهما بالآخر كما هو الحال بالنسبة للغة العربية (راب/غاب).

ويسمى الارتجاجي الطرفي (الراء) والجانبي (اللام) باسم جامع هو **السوائل** les liquides، وهو مصطلح موروث عن النحاة الأوربيين القدماء.

3- أشباه المصوتات (أو أشباه الصوامت): les semi-voyelles

هناك نوع من الأصوات اللغوية لا ينطبق عليه تعريف المصوتات ولا تعريف الصوامت، بل يجمع بين خاصية المصوتات وخاصية الصوامت. ولذلك تسمى هذه الأصوات أشباه مصوتات أو أشباه صوامت، والتسمية الأولى أكثر تداولا وتعبيرا عن حقيقة هذا النوع من الأصوات.

وهذه الأصوات تتميز بمرور حر للهواء، لكن يحدث معها تضييق للجهاز المصوت يترتب عليه احتكاك. غير أن هذا الاحتكاك لا يصل إلى درجة الاحتكاك المسموع مع الصوامت الأكثر انفراجا (الشين والصاد والزاي والسين في العربية). والمقصود بأشباه المصوتات أو أشباه الصوامت في العربية الياء والواو سواء في مثل "قَوْل" و "بَيْت" أو في مثل "وَلد" و"يُسر". أما الألف فلا تكون إلا مصوتا طويلا.

ويبدو شَبَه أشباه المصوتات بالمصوتات واضحا حيث أن الجهاز المصوت يأخذ عند نطق الياء الساكنة أو المتحركة - اللتين تعتبران شبه مصوت- نفس الوضع الذي يأخذه عند نطق الكسرة أو الياء المدية، غير أن التضييق الذي يكون مع شبه المصوت أكبر من ذلك الذي يكون مع المصوت.

المحور السابع:

نسق السمات المميزة في الصواتة التوليدية المعيار

تمهيد:

بعد بضع سنوات من ظهور النموذج الأول للنحو التوليدي، وفي أعقاب النقاشات التي تلت ظهور النموذج الثاني المعروف بالنظرية المعيار، نشأت النظرية الصواتية التوليدية التي وضع أسسها ومبادئها تشومسكي وهالي(1968) في كتابهما "النسق الصوتي للغة الإنجليزية" (SPE) الذي يؤرخ لبداية الصواتة التوليدية ولنموذجها المعيار على وجه الخصوص.

وتُعتبر الصواتة التوليدية محاولةً لدمج الصواتة في نظرية نحوية شاملة تتضمن أيضا التركيب والمعجم والدلالة.

إن النموذج المعيار للنحو التوليدي مكون من ثلاثة مكونات: الأول تركيبي يصف الجمل وصفا بنيويا، والثاني دلالي يحدد معنى هذه الجمل انطلاقا من بنياتها العميقة، والثالث صواتي يحدد كيفية نطق هذه الجمل انطلاقا من بنياتها السطحية. وإذا كان للمكون الأول دور توليدي، فإن للمكونين الدلالي والصواتي دورا تأويليا فقط. وهكذا، فإن دور المكون الصواتي هو إعطاء تأويل صوتي للبنيات السطحية التي تكون خرج المكون التركيبي.

إن هدف النظرية الصواتية التوليدية، إذن، هو منح صورة تلفظية للبنية التركيبية السطحية، وذلك من خلال تطبيق قواعدها على التمثيل التحتي المجرد لتوصله إلى المستوى المنطوق.

وقد رافق ظهورَ الصواتة التوليدية التخلي عن مفهوم الفونيم، المعتمد في الصواتة التقليدية، واعتماد مفهوم القطعة Segment. فالمورفيمات تُمثّل على شكل متوالية من القطع، وكل قطعة تتكون من مصفوفة من السمات المميزة، وكل سمة من هذه السمات تكون إما إيجابية فتأخذ القيمة (+) التي تشير إلى حضورها في القطعة، أو سلبية فتأخذ القيمة (-) التي تشير إلى غيابها. وإذا كانت القطع تخضع لترتيب خطي زمني في التمثيلات، سواء التحتية منها أو الأصواتية، فإن مكوناتها، أي السمات، لا تخضع لأي ترتيب في النموذج المعيار، وإنما هي آنية لا تتعاقب في الزمن.

1- خصائص نسق السمات عند تشومسكي وهالي (1968):

بلور تشومسكي وهالي(1968) في كتابهما المؤسس للصواتة التوليدية "النسق الصوتي للغة الإنجليزية" نظرية جديدة للسمات المميزة تقوم على أساس نطقي لا إصغائي كما كان الأمر عند ياكبسون. وإذا كان هدف هذا الأخير من بناء نظرية للسمات المميزة هو إقامة التقابلات الصواتية ووصفها في الأنساق الصوتية، فإن الهدف من بنائها في الصواتة التوليدية هو الكشف عن التغيرات السياقية وغير السياقية التي تطرأ على القطع داخل نسق صوتي معين، وكذلك وصف القواعد الصواتية وصياغتها صوريا. وتتميز السمات المميزة في إطار الصواتة التوليدية بطابعين اثنين: فهي ذات طابع كوني، بمعنى أنها صالحة لوصف أصوات أي لغة؛ وذات طابع ثنائي، بمعنى أن جل هذه السمات يحتمل القيمة الإيجابية(+) والقيمة السلبية(-).

وتضم قائمة السمات التي اقترحها تشومسكي وهالي (1968) حوالي ثلاثين سمة مقسمة إلى مجموعات كمجموعة سمات الفصيلة الكبرى ([±مصوتي]، [±صامتي]، [±مقطعي]، [±جهير])، ومجموعة سمات التجويف التي تتضمن بالإضافة إلى [±متقدم] و[±طرفي]، ثم سمات كتلة اللسان وسمات درجات تضييق الجهاز المصوت وسمات الانفتاح الثانوي [±أنفي] و[±جانبي]، ومجموعة سمات نمط النطق...إلخ.

2- تعريف السمات:

- **مصوتي / غير مصوتي:** vocalique / non vocalique

الأصوات المصوتية هي الأصوات التي لا يتجاوز انقباض تجويف الفم، عند التلفظ بها، ذلك الانقباض الذي يحدث مع المصوتات العالية [i] و[u]؛ كما أن وضع الوترين الصوتيين عند إنتاجها يسمح بجهر تلقائي.

أما الأصوات غير المصوتية، فهي التي لا يتوفر فيها أحد هذين الشرطين. والمصوتات في النسق العربي ستة، أما الأصوات غير المصوتية فهي كل الصوامت والسوائل والعلل والأنفيات.

- **صامتي / غير صامتي:** consonantique / non consonantique

الأصوات الصامتية هي التي تنتج عن اعتراض حاجز للهواء الصاعد من الرئتين، أما غير الصامتية فهي التي تنتج دون تدخل أي حاجز. وهذه السمة تميز الصوامت والسوائل والأنفيات عن العلل والمصوتات.

والملاحظ أن العلل هي في الوقت نفسه [- صامتي] و [- مصوتي].

- **جهير / غير جهير:** sonant / non sonant

إن الأصوات التي تنشأ عن انقباض أكبر من ذلك الذي يحدث مع العلل تعتبر أصواتا غير جهيرة، وهي الأصوات الانفجارية والاحتكاكية والمزجية، في حين أن المصوتات والعلل والأنفيات والسوائل أصوات جهيرة. تضاف إليها العلل الحنجرية أي الهمزة والهاء، التي تعتبر هي الأخرى أصواتا جهيرة.

وإذا كانت كل الحاجزيات صامتية، فإن الأصوات الجهيرة منها ما هو صامتي (السوائل الأنفيات) ومنها ما هو مصوتي (المصوتات).

- **مستمر/غير مستمر:** continu / non continu

الأصوات المستمرة هي الأصوات التي يتم إنتاجها دون أن يؤدي انقباض الجهاز المصوت إلى سد مجرى الهواء. أما غير المستمرة فهي التي يحدث معها انسداد في موضع التضييق، مما يمنع الهواء من المرور عبر الفم.

والحاجزيات منها ما هو مستمر (الاحتكاكيات) ومنها ما هو غير مستمر (الانفجاريات والمزجيات)، أما المصوتات والعلل والأنفيات فهي أصوات مستمرة. وأما السوائل (اللام والراء) فتطرح مشاكل على مستوى هذه السمة، ويميل تشومسكي وهالي إلى اعتبار اللام غير مستمر والراء [+مستمر]. أما بريم Brame (1970) فيعتبرهما معا غير مستمرين.

- **مجهور/ غير مجهور:** voisé / non voisé (sourd)

الأصوات المجهورة هي التي تكون مصحوبة عند إنتاجها باهتزاز للوترين الصوتيين في مقابل الأصوات غير المجهورة، وهي التي لا يصاحبها هذا الاهتزاز. والأصوات الجهيرة في النسق العربي كلها مجهورة ما عدا العلل الحنجرية (الهمزة والهاء)، أما الحاجزيات فمنها ما هو مجهور كالزاي والدال والجيم ومنها ما هو مهموس مثل السين والتاء والشين ...إلخ.

- **متقدم / غير متقدم:** Antérieur / non antérieur

الأصوات المتقدمة هي التي يتم إنتاجها عن طريق اعتراض حاجز يقع قبل المنطقة اللثوية الحنكية (alvéo-palatal)، أما غير المتقدمة فهي التي يتم إنتاجها دون اعتراض أي حاجز في هذه المنطقة من الفم. والمنطقة اللثوية الحنكية هي مخرج السين.

وعلى هذا الأساس فالأصوات المتقدمة في النسق الصوتي العربي هي الشفويات والأسنانيات والبين أسنانيات واللثويات. أما الأصوات غير المتقدمة فهي الصوامت الحنكية والغشائية واللهوية والحلقية.

- **طرفي / غير طرفي:** coronal/ non coronal

الأصوات الطرفية هي الأصوات التي ترتفع معها صفيحة اللسان (La lame de la langue) إلى ما فوق وضعها العادي، أما الأصوات غير الطرفية فهي التي تبقى معها صفيحة اللسان في وضعها العادي.

والأصوات الطرفية في النسق العربي هي الصوامت بين الأسنانية واللثوية والأسنانية والصوامت الأدنى حنكية (الضاد، الراء، اللام، النون) وبعض الصوامت الوسط حنكية (الشين). أما الأصوات غير الطرفية فهي بعض الأصوات الوسط الحنكية (الجيم والياء) والصوامت الأقصى حنكية (الغشائيات) أي الكاف والقاف، والحلقيات الستة والشفويات (الباء، الميم، الفاء، الواو).

- **مطبق/ غير مطبق:** Emphatique / non - emphatique

تتميز الصوامت المطبقة بتوتر لجذر اللسان عند التلفظ بها، بالإضافة إلى ارتداد مؤخر اللسان تجاه الحنك الرخو.

- **أنفي / غير أنفي:** Nasal / non nasal

عندما يكون الحنك الرخو في راحة، فإنه يتدلى إلى الأسفل مما يمكّن الهواء الصاعد من الحلق من الانسياب إلى الخارج عبر التجويف الأنفي. والأصوات التي يتم تحقيقها بهذه الطريقة تسمى أنفية [+ أنفي] . أما إذا منع الحنك الرخو صوتا من المرور عبر التجويف الأنفي وأرغمه على المرور عبر الفم، فإن هذا الصوت يعتبر غير أنفي [- أنفي].

والصوتان الأنفيان في النسق الصوتي العربي هما النون والميم، وهذان الصوتان يوجدان في جل اللغات.

- **عال/ غير عال:** Haut / non haut

الأصوات العالية هي التي يرتفع معها اللسان إلى ما فوق المستوى الذي يكون عليه في وضعه العادي، أما الأصوات غير العالية فهي التي يتم إنتاجها بدون هذا الارتفاع. وهذه السمة

تقابل في إطار المصوتات العربية بين الكسرة والضمة باعتبارهما [+ عال] وبين الفتحة باعتبارها [- عال] .

- **منخفض / غير منخفض:** Bas/non bas

الأصوات المنخفضة هي التي يتم عند إنتاجها بإنزال اللسان إلى ما تحت المستوى الذي يكون عليه في وضعه العادي، أما الأصوات غير المنخفضة فهي التي يتم إنتاجها بدون هذا الإنزال. وهذه السمة تقابل بين الفتحة باعتبارها [+ منخفض] وبين الضمة والكسرة باعتبارهما [- منخفض].

- **خلفي / غير خلفي:** Arrière/ non arrière

المصوتات الخلفية هي التي يرتد معها اللسان إلى الخلف، أما غير الخلفية فهي التي لا يحدث معها هذا الارتداد. والمصوتات الخلفية في النسق الصوتي العربي هي الواو المدية والضمة، وما عداهما فغير خلفي.

- **مستدير / غير مستدير:** Arrondi / non arrondi

الأصوات المستديرة هي التي يحدث معها تضييق لفتحة الفم واستدارة الشفتين، أما غير المستديرة فهي التي لا يحدث معها هذا التضييق وهذه الاستدارة.

وهذه السمة تقابل في النسق العربي بين الضمة والواو من جهة باعتبارهما [+عال، +مستدير] وبين الكسرة والياء من جهة باعتبارهما [+عال، - مستدير].

- **طويل / غير طويل:** long / non long

هذه السمة تقابل في النسق العربي بين المصوتات الطويلة والقصيرة، والمصوتات الطويلة هي التي تقدَّر مدّتها بضِعف مدّة المصوتات القصيرة.

وهكذا فالألف والواو والياء المدية تعتبر [+ طويل] في حين أن الفتحة والضمة والكسرة تعتبر [- طويل].

المصادروالمراجع:

- ✓ **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**. دة. **خديجة الحديثي**.
- ✓ **أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب**. د. **عصام نورالدين**.
- ✓ **الخصائص**. أبو الفتح عثمان، **ابن جني** (ت392ه). تحقيق: محمد علي النجار.
- ✓ **سرصناعة الإعراب**. أبو الفتح عثمان، **ابن جني** (ت392ه). تحقيق: د. حسن هنداوي.
- ✓ **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ✓ **شرح شافية ابن الحاجب**. رضي الدين محمد بن الحسن، **الأستراباذي** (ت686ه). تحقيق وضبط: محمد نور الحسن - محمد الزفزاف- محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ✓ **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**. رضي الدين محمد بن الحسن، **الأستراباذي**.
- ✓ **"شرح الكافية الشافية"**. أبو عبد الله محمد بن عبد الله جمال الدين، **ابن مالك** (672ه). تحقيق وتقديم: عبد المنعم أحمد هريدي.
- ✓ **شرح المفصل**. أبو البقاء موفق الدين يعيش بن علي، **ابن يعيش** (ت643ه).
- ✓ **شرح الملوكي في التصريف**. موفق الدين، **ابن يعيش**. تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة.
- ✓ **الكتاب**. أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **سيبويه** (ت180ه). تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون.
- ✓ **المقتضب**. أبو العباس محمد بن يزيد **المبرد**(ت285ه). تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة.
- ✓ **الممتع في التصريف**. **ابن عصفورالإشبيلي** (ت669ه). تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة.
- ✓ **المنصف**. أبو الفتح عثمان، **ابن جني**. تحقيق وتعليق: محمد عبد القادر أحمد عطا.
- ✓ **النشرفي القراءات العشر**. شمس الدين محمد بن محمد، **ابن الجزري**.

باللغات الأجنبية:

- ✓ **Brame**, Michael K **(1970)**: **Arabic Phonology : implication for phonological theory and historical Semetic**. Massachusetts Institute of Technology. 1970.
- ✓ **Chomsky**, N & **Halle**, M **(1968)**: **The sound Pattern of English**. The Mit press Cambridge, Massachusetts London, ED: 1991.
- ✓ **Chomsky**, N et **Halle**, M **(1973)**: **Principes de phonologie générative**. Traduction de Pierre Encrevé. Editions du Seuil. Paris.
- ✓ **Dell,** François **(1973): Les règles et les sons: Introduction à la phonologie générative.** Paris. Herman. 1973.
- ✓ **Malemberg**, Bertil: **La phonétique**. Que sais-je N: 63. Press universitaire de France.